

قَالَ : وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ : أَمِيرُ الْجَزِيرَةِ لَا يَخْرُجُ بَعْدَ هُدُوءٍ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا عَنْ غُلَمَانِهِ، فِي سِرٍّ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا إِلَى زَوْجَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ؟

قَالَ : لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا خَرَجْتُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا .

قَالَتْ : فَخَبِّرْنِي فِيمَ خَرَجْتُ؟

قَالَ : يَا هَذِهِ، لَمْ أَخْرُجْ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ بِي أَحَدٌ .

قَالَتْ : لَا بُدَّ أَنْ تُخْبِرَنِي بِالْقِصَّةِ .

قَالَ : فَارْكُتُمِيهِ إِذَا .

قَالَتْ : أَفْعَلْ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُ وَرَدَّهِ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَتُحِبِّينَ أَنْ أَخْلِفَ لَكَ؟

قَالَتْ : لَا، فَإِنَّ قَلْبِي قَدْ سَكَنَ إِلَى مَا ذَكَرْتَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ خُزَيْمَةُ صَالِحَ الْغُرَمَاءِ، وَأَصْلَحَ حَالَهُ، ثُمَّ تَجَهَّزَ يُرِيدُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِفِلَسْطِينَ . فَلَمَّا وَقَفَ بَبَابِهِ دَخَلَ الْحَاجِبُ، فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِهِ - وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْمُرُوءَةِ . وَكَانَ سُلَيْمَانُ بِهِ عَارِفًا فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ .

قَالَ : يَا خُزَيْمَةُ، مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا؟

قَالَ : سُوءُ الْحَالِ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ مِنَ النَّهْضَةِ إِلَيْنَا؟

قَالَ : ضَعْفِي، قَالَ : فِيمَ نَهَضْتَ؟

قَالَ : لَمْ أَعْلَمْ بَعْدَ هُدُوءِ اللَّيْلِ إِلَّا وَرَجُلٌ طَرَقَ بَابِي، (وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا) . فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُهُ؟

قَالَ : مَا عَرَفْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُتَتَكِّرًا، وَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ إِلَّا «جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ» . فَتَلَهَّفَ سُلَيْمَانُ لِمَعْرِفَتِهِ .

وَقَالَ : لَوْ عَرَفْنَاهُ لَأَعْنَاهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ . ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِقَنَاءَةٍ . فَعَقَدَ لِحُزَيْمَةَ الْوِلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي عَلَى عَمَلِ عِكْرِمَةَ الْفَيَاضِ . فَخَرَجَ خُزَيْمَةُ طَالِبًا الْجَزِيرَةَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا، خَرَجَ عِكْرِمَةُ لِلِقَائِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . ثُمَّ سَارَا إِلَى أَنْ دَخَلَا، فَنَزَلَ خُزَيْمَةُ دَارَ الْإِمَارَةِ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرِمَةُ وَيُحَاسَبَ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ فُضُولًا كَثِيرَةً، فَطَالَبَهُ بِأَدَائِهَا .

قَالَ : مَا لِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا سَبِيلٌ .

قَالَ : لَا بُدَّ مِنْهَا .

قَالَ : مَا هِيَ عِنْدِي، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ. فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ يُطَالِبُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : لَسْتُ مِمَّنْ يَصُونُ مَالَهُ بِعَرَضِهِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ. فَأَمَرَ بِهِ فَقَيْدًا، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ، فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَرُهُ. وَبَلَغَ ابْنَةُ عَمِّهِ ضُرَّهُ، فَجَزَعَتْ وَاعْتَمَتَ لِدَلِكِ. ثُمَّ دَعَتْ مَوْلَاةً لَهَا ذَاتَ عَقْلٍ، فَقَالَتْ : امْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ هَذَا الْأَمِيرِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشْرٍ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ، فَسَلِّهِ أَنْ يُخْلِيكَ، فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا جَزَاءَ «جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ» مِنْكَ، أَنْ كَافَأْتَهُ بِالْحَبْسِ وَالضِّيْقِ وَالْحَدِيدِ. فَفَعَلَتْ ذَلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ قَوْلَهَا، قَالَ : وَاسَوْءَاتَاهُ وَإِنَّهُ لَهُوَ ؟

قَالَتْ : نَعَمْ، فَأَمَرَ مِنْ وَقْتِهِ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ. وَقَامَ خُزَيْمَةُ وَمَنْ مَعَهُ، فَلَقِيَ عِكْرَمَةَ فِي قَاعَةِ الْحَبْسِ مُتَغَيِّرًا، قَدْ أَضْنَاهُ الضَّرُّ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرَمَةَ وَإِلَى النَّاسِ أَحْشَمَهُ ذَلِكَ فَتَنَكَّسَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ : وَمَا أَعْقَبَ هَذَا مِنْكَ؟ قَالَ : كَرِيمٌ فِعَالِكَ وَسُوءٌ مُكَافَأَتِي.

قَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَدِيدِ، فَفَكَ الْقَيْدَ عَنْهُ. وَأَمَرَ خُزَيْمَةَ بِوَضْعِهِ فِي رِجْلِهِ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ عِكْرَمَةُ : مَاذَا تُرِيدُ ؟

قَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَنَالَنِي الضَّرُّ مِثْلَ مَا نَالَكَ.

فَقَالَ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَلَّا تَفْعَلَ. فَخَرَجَا إِلَى أَنْ وَصَلَا دَارَ خُزَيْمَةَ، فَوَدَّعَهُ عِكْرَمَةُ، وَأَرَادَ الْإِنْصِرَافَ،

فَقَالَ لَهُ : مَا أَنْتَ بَارِحُ، قَالَ : فَمَاذَا تُرِيدُ ؟

قَالَ : أَعْيُرُ مِنْ حَالِكَ مَا رَأَيْتُ، وَحَيَائِي مِنْ ابْنَةِ عَمِّكَ أَشَدُّ مِنْ حَيَائِي مِنْكَ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَى فَدَخَلَ، ثُمَّ قَامَ خُزَيْمَةَ، فَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ خَرَجَا فَخَلَعَ عَلَيْهِ فَجَمَلَهُ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَارَ مَعَهُ إِلَى دَارِهِ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِعْتِدَارِ مِنْ ابْنَةِ عَمِّهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَاعْتَدَرَ إِلَيْهَا، وَتَذَمَّمَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمٌ بِالرَّمْلَةِ. فَدَخَلَ الْحَاجِبُ، فَأَعْلَمَهُ بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشْرٍ، فَرَاغَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدُمُ بِغَيْرِ أَمْرِنَا؟ مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ ؟

قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ : فَمَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟

قَالَ : ظَفَرْتُ بِجَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسُرَّكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ تَلَهُّفِكَ عَلَيَّ، وَتَشَوُّفِكَ إِلَى رُؤْيِيهِ.

قَالَ : وَمَنْ هُوَ؟

قَالَ : عِكْرَمَةُ الْفَيَّاضُ. فَأَذِنَ لَهُ بِالْدُّخُولِ. فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ. فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا عِكْرَمَةُ مَا كَانَ مِنْ خَيْرِكَ لِخَزِيمَةَ إِلَّا وَبَالاً عَلَيْكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَكْتُبْ حَوَائِجَكَ كُلَّهَا، وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ، قَالَ: أَوْ تَعْضِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ دَعَا بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ، وَقَالَ: اغْتَرِلْ وَاكْتُبْ جَمِيعَ حَوَائِجِكَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. فَأَمَرَ بِقَضَائِهَا جَمِيعاً مِنْ سَاعَتِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ، وَبِسِفْطَيْنِ ثِيَاباً. ثُمَّ دَعَا بِقَنَازَةٍ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبِيحَانِ، وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خَزِيمَةَ إِلَيْكَ، إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ، وَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ.

قَالَ : بَلْ أُرِدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ. ثُمَّ انْصَرَفَا، وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ.

(بتصرف من كتاب « الفرج بعد الشدة » للتنوخي)

أولاً: الاستيعاب والمناقشة.

تدريب ١: أجب بوضع علامة (✓) أو (X).

- ☐ ١ - كَانَ خَزِيمَةُ أَمِيرًا فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.
- ☐ ٢ - اُسْتُهْرَ خَزِيمَةُ بِالْكَرَمِ.
- ☐ ٣ - لَزِمَ خَزِيمَةُ بَيْتَهُ عِنْدَمَا أَصْبَحَ كَبِيرَ السِّنِّ.
- ☐ ٤ - أَرْسَلَ عِكْرَمَةُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ إِلَى خَزِيمَةَ.
- ☐ ٥ - لَمْ يَعْرِفْ خَزِيمَةُ الرَّجُلَ الَّذِي أُعْطَاهُ الْمَالَ.
- ☐ ٦ - أَخْبَرَ عِكْرَمَةُ زَوْجَتَهُ بِقِصَّتِهِ مَعَ خَزِيمَةَ.
- ☐ ٧ - وَلَّى سُلَيْمَانُ عِكْرَمَةَ الْإِمَارَةَ مَكَانَ خَزِيمَةَ.
- ☐ ٨ - حَبَسَ خَزِيمَةَ عِكْرَمَةَ، لِأَنَّهُ خَرَجَ عَلَى الْخَلِيفَةِ.
- ☐ ٩ - زَوْجَةُ عِكْرَمَةَ، هِيَ السَّبَبُ فِي خُرُوجِهِ مِنَ السَّجْنِ.
- ☐ ١٠ - عَزَلَ سُلَيْمَانُ خَزِيمَةَ مِنَ الْإِمَارَةِ.